هكذا روى شاهد عيان مجزرة صبرا وشاتيلا
يا إلهي! كنت أسير على عشرات الجثث

«الموت لهم لان ميراثه يلزم الاحياء».

كنا لا نزال في مخيم شاتيلا... وكانت العربة المجنزرة قد اختفت، مع انني كنت لا ازال اسمع صوت جنازيرها وهي تصطك بالشارع الرئيسي في طريقها الى الاسرائيليين الذين ظلوا يراقبوننا.

وكان على الجانب الآخر متراس عال مغطى بالرمل والتراب: ويرتفع ١٢ قدما، كان من الواضح ان احدى الجرافات اقامته قبل ساعات، وصعدت بصعوبة على احد جوانبه وقدماي تنزلقان فوق كتل القذارة الانسانية. وفقدت توازني عند القمة، فاستندت الى عمود من الحجر المسود الناتئ من الارض، وسرعان ما تبين انه ليس حجرا لانه كان دافئا ولزجا ولصق بيدي. وعندما امعنت النظر اليه وجدت انه كوع انسان مغروس في الارض.

يا لهول ما رأيت! وجدت نفسي ألقي بالكوع بذعر وهلع وانقض لحم الميت عن سروالي واقفز الخطوات الاخيرة نحو قمة الحاجز. لكن الرائحة كانت مرعبة وفجأة رأيت تحت قدمي وجها ينظر إلي وقد طار نصف فمه. وكان من الواضح انه أصيب برصاصة او طعن بسكين، اما النصف الثاني فكان يعج بالذباب.

مشيت على قمة الحاجز، وأخذت ابحث كاليائس المستميت عن مكان أقفز منه الى الجانب الآخر، ولكن وجدت انني كلما تقدمت خطوة، ارتفع التراب أمامي، وأخذ الحاجز يهتز اهتزازا مخيفا تحت قدمي، وعندما نظرت الى الاسفل، تبين لي ان الرمل لم يكن الا غطاء رقيقا وُضع لإخفاء الوجوه والاطراف البشرية عن الاعين، ورايت شيئاً كالحجر، فإذا به معدة انسان ورأيت رأس رجل وصدر امرأة عاريا واقدام طفل.

يا للفظاعة!! كنت أسير على عشرات الجثث التي كانت تهتز تحت قدمي، وعبثاً اخذت أحاول بكل طاقتي ان لا اطأ على الوجوه بقدمي.

... وكانت على الطريق الرئيسية جثث اخرى، واشارت إحدى النساء الى جثة رجل وقالت: «هذا هو جاري السيد نوري الذي يبلغ التسعين من عمره» ورايناه ممدداً فوق القمامة على الرصيف بلحيته الرفيعة وقبعته الصوفية... وشاهدنا رجلا مسناً آخر ممدداً امام بيت وعليه بيجامته. ويبدو انهم أمسكوا به وذبحوه وهو يحاول النجاة بنفسه.

روبرت فيسك

(ويلات وطن)